تجربة من كوبا

المسرح في الجبل
وسط العمال والفلاحين

ان ابرز السبل للوجود هو عن طريق الفن ، وبالذات المسرح – اكثر المؤسسات الثقافية قدرة على تحريك الجماهير .. واذا كان المسرح البرجوازي يمتلك القدرة على تكبيل الجماهير فان المسرح الثوري يمتلك الى جانب ذلك القدرة على تغيير الجماهير .. ذلك ان من اولى مهمات المسرح الثوري هما خلق الصراع داخل الانسان الكادح ومن لـم تصعيد هذا الصراع عن طريق طرح واقعه المعاش بدقة ومخاطبة عقله ودفعه الى الانتقال من موقف المتفرج الى موقف اكثر فعالية وهو اتخاذ موقف الرفض ازاء هذا الواقع .. اي تفجير الصراع .. ودفع الانسان الى اصدار حكمه فيما يجري امامه .. وبالتالي فيما يجري حوله وداخل اطار حياته .

وبالطبع فان المسرح الثوري ضمن انظمة برجوازية يضطر في اطار تصديه للسلطة الى اعتماد الرمز والاسقاط لمواجهة اساليب القمع او الاحتواء او التطويق او تجيير اعماله لصالح تلك السلطة ، في حين يتحمل الفنان في ظل سلطة ثورية مهمة ترسيخ مبادىء الثورة والوقوف في وجه قوى الثورة المضادة وتثبيت المسرح وسيلة اتصال مهمة مع الجماهير قادرة على خلق توجه جماهيري نحو الاستمتاع السليم بالفن ، وقادرة الى جانب ذلك ان تخلق حالة جدل بين

الانسان وذاته من خلال رؤية هذه الذات ومراقبتها في شخوص الاعمال المسرحية .

والمسرح – من خلال تجارب حركات التحرر العالمية في هذا المجال (الصين – فيتنام – كوبا) اثبت انه الوسيلة الاكثر قدرة على توصيل افكار الثورة وايديولوجيتها الى القاعدة الجماهيرية العريضة .. ولعل تجربة جماعة (اسكامبراي) الكوبية والتي ننقلها لكم هنا تقدم دليلا على ان المسرح نظام ثوري لم يعد وسيلة « للتفرج » – ولعلنا بعد ذلك نطرح سؤالا ..

اين المسرح الثوري الفلسطيني ؟

● المسرح في الجبل ●

على بعد ثلاثمئة كيلومتر من العاصمة هافانا وعلى بعد بضعة امتار عن ريو اريماو النهر الذي يجري قرب سلسلة جبال اسكامبراي الجبال التي تحصن فيها تشي غيفارا مع مجموعته الثورية ابان معارك حرب التحرير الكوبية ..

هناك في مقاطعة لاس فيلاس الوسطى يروي سيرجو كيوديرا الممثل الكوبي الذي يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما – يروي مغامرات مجموعة مسرحية وصلت الى المنطقة في الفصل الثاني من سنة ١٩٦٨ بهدف التفتيش عن معنى جديد لمهنتهم ولاثارة بعض التغييرات في المسرح .

فالمجموعة المؤلفة من عشرين ممثلا اتوا من انحاء عديدة من كوبا اصبحت حاجة ضرورية لمزارعي وفلاحي المنطقة واكثر من ذلك اصبحت هذه المجموعة قوة عمل يحترمها الجميع ويعرفها الجميع .

لقد اكتشفوا من خلال نشاطاتهم طيلة السنتين المنصرمتين عنصرين اساسيين اولهما المعنى الاجتماعي والسياسي لعملهم المسرحي في منطقة بعيدة عن المدينة وعن صخب العاصمة . وثانيا ان المجموعة استطاعت اثارة مشاعر الفلاحين وخلق الحس المسرحي عند اناس لم يروا خلال خمسين عاما اية فرقة مسرحية .

ولكن ليس هذا عملا للتسلية فقط . بل هناك شيء عميق ينبع من صميم الممثلين وفي الوقت نفسه من صميم طبيعة المنطقة والفلاحين ، فكل عمل مسرحي هو رسالة موجهة مباشرة الى ضمير المشاهد . والرسالة هذه الموجهة في اطار قيمة تقنية وجمالية ، يركز في مضمونها المعنى الايديولوجي الذي يوجه الى عينة اجتماعية خاصة . فمجموع الاعمال المسرحية خلال سنتين ربطت بين البنية السياسية الايديولوجية وبين البنى التقنية والفنية .

● ليسوا بحاجة للكلمات ●

ويقول احد الفلاحين انه عندما يريد الفنانون ان يقولوا شيئا ما فهم ليسوا بحاجة الى كثير من الكلمات .. ففي عملهم يتكلمون ويتجادلون بعض الاوقات عن قضايا تهمنا كلنا وتنبع من حاجاتنا وقضايانا المعيشية .. شيئا فشيئا توضح هذه الامور لـم نفهمها وبعد ذلك نبدا بالتصفيق .

وهناك وجه اخر مهم لهذا العمل هو تنوع المهمات التي تقع على كاهل الممثلين .. فهم يقودون بانفسهم السيارات ، ثم يفرغون قطع الديكور والالبسة والحاجات الثانوية (الاكسسوار) .. والممثلون انفسهم يهتمون بتركيب الكهرباء والاضواء ثم يقيمون الديكور ، وبعد ذلك عندما تنتهي المسرحية يعيدون كل شيء الى الشاحنات وليس هذا كل شيء لانه البدايه .

ففي الصباح يفيق الممثلون ويذهبون لزيارة الفلاحين ، ثم يساعدونهم في الحقول حيث يتحاورون حول المسرحية التي شاهدوها في الليلة الماضية ويتناقشون حول القضايا الاجتماعية والسياسية في البلاد وفي المنطقه .. هذه القضايا التي ستكون موضوع عمل مسرحي جديد يقدم فيما بعد الى اهالي المنطقه ..

والمقصود من هذا هو طرح جميع التناقضات الرئيسية والثانوية وجميع المشاكل التي كانت تحصل في الماضي لشرحها في مضمون مبسط للفلاحين من خلال هذه الاعمال المسرحية .

وربما كانت المهمة الصعبة لمجموعة اسكامبراي المسرحية هي المناقشة التي كانت تجري دائما بعد كل مسرحية .. هنا يرى الفلاحون انفسهم على الخشبة ثم يتبينون اشخاصهم من خلال الادوار التي مثلت .. وهنا تبدا عملية النقد والنقد الذاتي .

● بدات افهم ●

اوغسطينوس ابرهانتس فلاح عمره اثنان وخمسون عاما وقف بعد المسرحية وقال : « هم – اي الممثلون – يتكلمون عن حياتنا ، ويحاولون مساعدتنا لكي نخرج عن حالتنا المتخلفة وان نترك جميع العادات والخرافات السيئة ، لقد بدات افهم ماذا يريدون » .

وقال رافائيل رويدريكاس متسائلا عن مهمة المجموعة المسرحية : « ان عمل الفنانين هذا يعطينا المثل الصحيح على كيفية تكوين وتحديد موقفنا حيال التغيرات التي احدثتها الثورة .. ومن واجبنا نحن ان نفهم هذا ، وان نقدره .

مثلا في حياتي كلها لـم اذهب الى المسرح لاني كنت اعتبر ذلك عادة سيئة ، ولكن عندما ذهبت انشرحت كثيرا لانني رايت نفسي من خلال احد الممثلين .. ان هذه المجموعة تعلمنا كيف يجب علينا ان نفهم وان نكون اناسا شرفاء وثوريين » .

فالراي الاخير هذا يتضمن ثمرة المجهود الذي قدمه المجموعة الفنية من « اسكامبراي » من خلال معرفة مشاكل وقضايا الفلاحين والظهور امام الناس كانهم يافون دائما ..

ويقول سيرجو كوبربري قائد المجموعة ان اختيار هذه المنطقة بالذات لـم يات صدفه ، بل اتى من خلال دراسة عملية للمنطقة ، فالمقاطعة تضم مئتي الف من السكان وتنقسم الى اثنتي عشرة كميونة اغلبها في الجبل ، وتضـم بعض المراكز الصناعية كصناعة السكر والورق والدخان .. ففي هذه المنطقه ايضا هناك العديد من المدرسين الذين اتوا بعد ان انهوا دراستهم الجامعية للتدريس في المنطقه والقضاء على الامية .. وبالاضافة الى ذلك تعتبر المنطقة من المراكز الثوريه حيث انطلقت الثورة ضد الرجعية العميلة ، وكانت ايضا بعد ذلك مسرحا للمعارك التي جرت بين قوى الثورة وبين القوى المضادة التي مولتها الامبريالية الامريكية .

والمسرحية التي تقدمها حاليا الفرقة تتالف من اربعة مشاهد . النضال ضد المجرمين ، وتحرر المراة وهي مقتبسة عن مسرحيات فرنسية وهناك مشهدان يشرحان اوضاع المنطقة زراعيا وسياسيا واجتماعيا .

ومن ناحية اخرى تعتبر هذه الجولة تجربة مسرحية فريدة .. اذ ان الممثلين هم دائما في الهواء الطلق تنقصهم الوسائل التقنية التي يعوض عنها ببعض المشاهد الطبيعية . وتعتبر هذه التجربة درسا دياليكتيكيا واساسيا عن قصة المسرح من خلال تطوره الطبيعي .

وقد لاقت هذه العروض نجاحا كبيرا وتجاوبت معها الجماهير الشعبيه في كل المناطق وحيث قدمت . فامام واقعيها وبساطتها اخذ الشعب يعبر عن مشاعره تجاه مشاكله لانهم ادركوا ان انتقاداتهم هي مهمه وايجابيه ولانهم توصلوا الى فهم مهمة المجموعة من اجل ايجاد لغة مشتركة بين الفنانين وبين اهالي المنطقة .

ويقول كوبربري عن مشاريعه للمستقبل ان المجموعة ستظل في المنطقه لمتابعة الدراسات الاختبارية وللعمل مع الفلاحين ، بعد ان احست بانها افادت المنطقه وحققت المرامي البعيدة التي جاءت من اجلهـا .. والحزب الشيوعي الكوبي في المنطقه فهم حقيقه العمل الذي نقوم به والذي يهدف الى تطوير المنطقة . وهذا ما جعله يطلب من قياداتنا ان نتابع عملنا .. واكثر من ذلك تريد الفرقه ان تعمل على تطوير التقاليد والفولكلور المحلي في المنطقة لتقديمها على صعيد الدولة والعالم .

ويقول كوبربري حول سؤال ماذا كان هناك بعض البعد بين المجموعه والفلاحين .. يقول ان ليس هناك من تباعد لاننا قمنا بعمل مجد ومتواصل ثم اننا لـم نات بوجه المستعمر او الذي يعرف اكثر من غيره .. بل اتينا نقدم ما نعرفه في سبيل تطوير المنطقه .. لقد جئنا لنرفع جميع اشكال الاستغلال عن الفلاح الكوبي الذي ظل تحت رحمه السيد والمستعمر طيلـه اجيـال ■

ما تبقى لكم

الى
غسان ،

ليست مراثي ايها الجرح
الذي فينا
انها كلمات رجال .

١

رمـال ..
تنفتح الجروح ، والفارس
ينقل الخطى في قاع المدينة ،
محملا بالورد والحناء والطيور
فالليلة نقيم عرس الدم وناخذ من
الفجر نـاره
نصنع منها حنجرة للفقراء ،
نعطيهم ماء النهر والشمس ، نعطيهم
كل التواريخ
كي يحاربوا العقارب التي تلد في الرمل .

٢

الغـزاة
يقراون وجهك في الدروب وعلى الحيطان ،
يقراونه على غضب البحر ،
وفوق الصحراء الداميه
والاهل ينتظرون العودة ، يا صرخة في
النهار ، يـا شعبا يقف كالخنجر
كل الشوارع والنسـاء في وجه الغزاة مرايا
كل الحفـاة ،
وباقي بطـاقات اليانصيب ،
حتى المصابيح الذاوية وعربات القطار
تحمل بين ذراعيها وجهك ،
ولن يدفن في الرمل .
الغـزاة
يرونك في الاحلام ، ناهضا عبر ليل
الشرق مع الفقراء
مانحا جسدك للنار والمعاول والموت الشجاع ،
فيغتسـلون بالـدم ،
ويركعون للصوت الاتي كالفجر

فماذا يفعلون ؟
غير الغـدر .

٣

بروليتاري مع فقر « اشلون انام » .
لست وحدي مع الرصاص واشلائي الممزقة
لست وحدي في الوحشة والليل
عندما ارادوا قتل العشب واحراق الاغاني
فانـا
القادم مع زبد البحر مع الشمس الفرحه
« اشلون انـام »
مانحا قلبي للفقراء ،
سـاحفر الصحراء عن نبع واسع
يغسل الحزن
انـا
الحسين ،
انـا لومبا ،
انـا المهدي بن بركه ،
ولتزحف الديدان ولتاكل من الراس المقطوع
فانا طالع كالزهرة فوق سماء الجوع ،
انا طالع مع الرفـاق واغني :
« اشلون انـام »
لا تبكي يـا امي
« شتـرا » : اشلون انام
« البداوي » : اشلون انام
« عن حلوه » : اشلون انام

٤

ماذا تبقى لكـم
الخبز والثورة واجراس البحر
والصليب لي ، وراياتنا في الريح ،
انـا رافع المحبة في العيون ،
انا البذرة والماء والشـموع
انـا
الاطفال يركضون في حقول « غزة »
انـا
العارف ان الموت ،
قضية ورجـال .

حسين علوان – بغداد ■

موعدنا مع غسان

الفكر فيه ، فتصغر الكلمات . تغوص في ذهني . تكاد تتلاشى ، في فراغ موحش ، وسيع ، سحيق الغور !

سر قوته ذلك الزيج العجيب من المتناقضات : لطف وصلابة ، هدوء ونشاط ، دماثة وجراة . ولكن هذه التناقضات تناغمت فيه ، وانسجمت ، فاذا هي انسان فريد في نضاله ، وعزمه ، وعطائه .

واجمل ما استرعى محبيه وعارفيه تلك الابتسامة الدائمة . فلا انشراح فيها ، ولا غبطه ، ولا حبور . بل فيها حنين لا مدى له ، ولا حدود ، ولا نهـاية .

حنين الى الوطن السليب ، الى الارض الطيبة ، الى فلسطين .

كل من عرف غسان كنفاني احب فلسطين ، وتهيا للنضال في سبيلها حتى الموت .

حمل الماساة في قلبه وعقله . حملها في وجدانه واعصابه . الا انه لـم يذعن لهـا ، بل صمم على مواجهتها فكرا وعملا ، فـاذا به ذلك المناضل الذي اشـاع حوله اليقظه ، ووعي الضمائر .

كيف ؟

برفع قيم الحق والعدالة والواجب الى مستواها الارفع ، الى مفهومها الاسمى الذي تتجوهر فيه البطولة .

ومن البديهي ان يكون غسـان – بمثل هذه المزايـا – عدوا عنيدا للغدر ، والطغيان ، والاسـتبداد ، والعدوان .

وكانت عداوته رهيبة بقدر ما هي انسانيه ترتكز على الايمان الوطيد فلا تساوم .

وتنطلق من الثقه بالنفس فتخلق حولهـا تيارا من القوة الجارفة .

انه رمز قضية ، ونبراس جيل تليه اجيال علمنا في حياته ان من كانت له اصالتنـا لا يتخلى عن حقه .

وعلمنا استشـهاده ان فلسطين لـن تبقى ضائعة .

حياته كانت لنا قدوة ومثالا .

واستشهاده اصبح لنا حافزا ، اصـبح زخما يتفاعل فينا متزايـدا يوما بعد يوم . ولن يكون ردنـا عملاء جبناء يدسون الموت غدرا كافاعي الظلام . بل سيكون مواجهـة ساخرة ، عارمة ، تعبر عن حقيقتنا الخالدة .

سيكون بطولة تذهل العالم .

توقظه من سباته المجرم التمادي !

فيا غسان – الى اللقاء !

سنكون جديرين بـك ، وعلى خطاك سنمشي . شكرا على الدماء التي مهرت بها نضالنا . فهي منبت مواسـم آتية من الغد ، والكرامة ، والانتصار . ■

امل حوري

كتب صدرت حديثا

حول الطوفان واعادة التكوين

■ مجموعة شعر لمريد البرغوثي – دار العودة ■

لبات اللغة ولنفضح لغز هـذا الزمن المقلف بشمع التبرير ، الخراب هو الـذي يبني ما دام ما في القلب لا يفضي لغير الجوع والاستلاب والغربة القسرية (عواصم الدنيـا بحار ، وكل في الافق زورق) الدم انهـار ، الدم سيول ، والليل مقتول العينين ، والنهار مسلوب الاراده ، وهكذا .. الورد بلا رائحة وللارصفه في المدن الغريبة طعم الشتيمة ،

وهذه الصباحات المزججه بالحريق والعفن ، وهـذه الاحصنه المقطعه الاطـراف ، عنـد مداخل المدن العربية او امـام البيوت التي يحتلها النعاس ، كلها هـذه المفردات تفضي الى الخراب تعمر المساحه الاكبر في الهدم ،

وهي تفضي الى الداء بمجيء الطوفان ، حيث الطوفان هو الخراب النقي ، الذي يطهـر ويوفق بين العالم والانسان عبر الحلم المتفائل بالبنـاء واشـاده الفرح ، حيث الوطن هو العلاقه بكل المرئيات وكل مرايا الداخل حيث تنعكس اللـذة بالاسمـاء على الـراس وزهو الاصابع ، وحيث تعف المدن بشموخ صورة للجـذر بالارض والـراس والاحلام العـامرة باسباب الطمانينه ، من هنا ياتـي الكـلام عن فلسطين ، لسر المدن المحتلة بلفات صمية او الخرائط الجاهزة للتهويد او القياسات المهدة للتشويه ، فلسطين الحلـم فيمـا ينبغي ان تكون فيه الانسان الغاءا للهجرة ورفضا متكاملا ، بالحلـم والفرح والطفولة والذكريـات الاليفه ونمو العلاقه مع الارض والزرع والعائله والاغنيات ، هكـذا مريـد البرغوثي الشـاعر الفلسطيني فـي مجموعته (الطوفان واعاده التكوين – دار العودة) يقف على حافه الصراخ ويدفع صوته باتجـاه البحر وعبر العاجمه يريد ان يصل ، يريد ان يتواصل ، العالم باطل مبني على الزور يقول البرغوثي ، انه شـاهد من هذا العصر يؤرخ للجرح ، وينشد لفلسطين التي (يشمر الجرح على جبهها) حيث التحدي فـاكهة الوقت والبرغوثي يصرخ (انـا الشق الذي قـد كان يوما ما غصونا غصنه الخضرة يكسرني ويحرقني رجـال العصر مرات ولا مره ، يزور حيالهـم اني سـاصبح فـي غدي جمره) هنا تنضج الرفض ونطلع من الفعل الرصاصة الخارقه التي تهـز السـكون ، رصاصة البشاره تشعل نـار الثورة هكـذا البرغوثي يضعها ، انه يقود فـي الصيحه الذاكره ، ويفتح على التذكر هواء الحمـاس ولكنه هادىء يخاطبنا بنظافة :

اقول لكـم / فما انحصت بواطرنـا / ولا وهنت سواعدنـا / ولا هنا ولا غنـا / لانـا حين نام الناس في مستنقع الحيرة / وقفنا في الحريق لنطق الكلمة / ونقبض بالاصابع والرنود وبالكود على ملامحنا / على راياتنا الحرة .

هنا يستحضر بوضوح الوعي الفلسطيني ، الذين وقفوا في الحريق وراهنوا على لـون النار هم الذين لم يخونوا الراية الحـرة ، ولم يقفوا في الحيرة ، في مستنقعها كمـا يقول البرغوثي ، فالحيرة مستنقع للذيـن لا يملكون الاراده ولا يفعلون التحدي ، وفي حمام قصيده (الترك) يوقع البرغوثي صفة الارتجال الدافىء ، حين يترك للوضوح فرصة الدخول الى القصيده ، والحرارة لتختم على الوقت الضائع حيث لا طـ... حول الدورة المضاءة بالضحك ، لكنه ايـ... ليس مهيـا ليستهلكه البكاء ، انه يذكر ... مسببات الطفوله ، حين ابت الطائرات واحرقت كل شيء ، التفاح والزيتون وقلب ابنه الجار واسكتت الشعر ولغة الحوار الجـاهليه ، ومنحت الزمن صوتـا يستحضر المرثية انـه زماننا العربي ، نعم يقول البرغوثي لبـاب الطوفـان ولبدأ عالـم جديد مضاء بالنقـاء ومخصب بالفرح لانه :

هذا هو القلق الحماس .

وسيفتح النوار وياتي المطر وياتي العصافير وينتهي عصر الافول حيث لا طائـرات تقتل التفاح وتسكت رائحه الورد ، هذا هو المؤشر الاخر للشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي ، استشراف على الغفله وتطلع نحو فلسطين العلاقة المميزة بالحب . وايضا يمكن القول ان البرغوثي يستهلك اللغه بجفاف ، وانه يشرح احيانـا ، وانه يسقط احيانـا فـي الوعظ ، ولكنه مبرر للبرغوثي ان يفعل كل هذا ما دام يتوخى الوصول الى الجديـد ، والى التكوين النظيف ، وانه يقف في انتظار الطوفان ، وانه ينشد لفلسطين عبر المقاومه ، وعبر التحدي ، وعبر اسباب الثقه بالثورة ■

شريف الربيعي

في العدد الثاني عشر من مجلة « شؤون فلسطينية »

١ – عرس الدم الفلسطيني	محمود درويش
٢ – حول قضيه ابو حميدو وقضايا التعامل الاعلامي والثقافي مع العدو	غسان كنفاني
٣ – دراسة حول الاتجاهات السياسية لدى بعض وحدات الميليشيا الفلسطينية	باسم سرحان
٤ – تقرير حول اوضاع العمال العرب في الارض المحتله بعد العام ١٩٦٧ واضطهادهم	عبدالله الصفدي
٥ – على ضوء لقاء مع الفيلسوف الفرنسي سارتر والمسالة الفلسطينيه	داود تلحمي

بالاضافة للابواب الشهرية المعتادة والكثير من التقارير والمراجعات
تصدر عن مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية
٢½ ل.ل.
يطلب من الباعة